

القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية Cultural values in the house in Arab-Islamic Architecture

هدى قاسمي¹، شريف درويش²
2.1 جامعة البليدة 2 علي لونيبي البليدة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2019-07-01؛ تاريخ المراجعة : 2020-10-06؛ تاريخ القبول : 2021-03-31

ملخص :

العمارة ليست فقط تصاميم هندسية بنوية بحتة، تنتمي الى تيار او فلسفة معمارية معينة، بل هي ايضا انعكاس لحاجات الانسان في بيئة معينة، بيئة تحمل خصائص ثقافية واجتماعية وايكولوجية خاصة، بيئة تمثل حصيلة القيم الاجتماعية، الفكرية، الدينية، الفلسفية .. وحتى الجمالية، فحتى الإنسان البدائي الذي كان يسكن الكهوف والمغارات كان يرسم على جدرانها رسومات ذات مدلولات لطقوس عباداته الخاصة. وقد جاءت هاته الدراسة من اجل الكشف عن اهم القيم الثقافية المتجسدة في مسكن العمارة العربية الإسلامية، والتي تعكس ثقافة المجتمع الإسلامي.

وقد تمت هاته الدراسة عن طريق قراءة سيميائية لأهم الاشكال الفيزيائية لعمارة المسكن العربي الإسلامي. وقد توصل البحث الى استخلاص ان السكن في المجتمع العربي الإسلامي قد بني حسب القيم الإسلامية والتصورات السائدة في المجتمع المحلي، فالسكن العربي الإسلامي هو نظام رمزي مكثف يعكس خصائص الثقافة الإسلامية.

الكلمات المفتاح : عمارة، عمارة عربية إسلامية، قيم ثقافية، مسكن. تراث

Abstract :

The building is not only a purely structural engineering designs, belong to a trend or certain architectural philosophy, but it is also a reflection of human needs in the particular environment, an environment carrying special cultural characteristics, social and ecological environment, representing the outcome of social values, religious, intellectual, and philosophical convictions. Even the aesthetic, even the primitive man who lived caves and grottoes he painted on the walls of the meanings of the rituals of his cult. This study came to reveal the most important cultural values embodied in the residence of Arab Islamic architecture, which reflects the culture of Islamic society. This study was carried out through a seminary reading of the most important physical forms of the house in the Arab Islamic architecture. The research concludes that housing in the Arab Islamic architecture has been built according to Islamic values and perceptions in the community, and it is an intensive symbolic system that reflects the characteristics of Islamic culture.

Keywords : architecture, Arab Islamic architecture, cultural values, house, patrimony

- تمهيد :

العمارة ليست فقط تصاميم هندسية بنبوية تنتمي الى تيار او فلسفة معمارية معينة، بل هي ايضا انعكاس لحاجات الانسان في بيئة معينة، بيئة تحمل خصائص ثقافية واجتماعية واكولوجية خاصة، بيئة تمثل حصيللة القيم الاجتماعية، الفكرية، الدينية، الفلسفية .. وحتى الجمالية، فحتى الإنسان البدائي الذي كان يسكن الكهوف والمغارات كان يرسم على جدرانها رسومات ذات دلالات لطقوس عباداته الخاصة. في الوقت الحاضر، تعرضت معظم المدن العربية لتحديات معمارية كبيرة، حيث دخلت البلاد اتجاهات وفلسفات معمارية عالمية جديدة بعيدة عن عاداتها وتقاليدها وظروفها البيئية، فتعرضت بذلك العمارة المحلية في هذه المدن الى الضياع وفقدان هويتها. يرى البعض أن الحل في إيجاد هوية معمارية خاصة بنا هو العودة للعمارة العربية الإسلامية التي تعتبر جزء من موروثنا الثقافي، هذا الرجوع لا يقتصر فقط على استخدام أشكال هندسية خاصة بالعمارة الإسلامية (كالقبة والأقواس والفناء و..)، انما بإحياء القيم الثقافية ونمط العلاقات الاجتماعية الخاصة بالمجتمع الاسلامي من خلال العمارة. ومن هنا نطرح التساؤل: ما هي القيم الثقافية التي تم تجسيدها عن طريق البناء في العمارة العربية الإسلامية ؟

نجد الكثير من الدراسات التي اهتمت بدراسة العمارة العربية الإسلامية غير أنها اهتمت فقط بالجانب الوصفي لها، كما ان معظم الدراسات اختصرت العمارة العربية الإسلامية فقط في المساجد والقصور وزخرفتها.

1. العمارة العربية الإسلامية :**1.1. تاريخها:**

يعود وجود تسمية العرب حسب الأدلة الأثرية الى نهاية الالف الثالث وبدايات الالف الثاني قبل الميلاد. (هير، 2018) وقد اشارت هاته التسمية في بداياتها الى الاقوام التي تتكلم لغة واحدة، فقد اقتضت على الميدان اللغوي، فإسماعيل عليه السلام كان جد العرب مع أنه لم يكن هو نفسه عربيا (مغنية، 1994، صفحة 25) كان يتكلم السريانية في البداية، ثم تعرب لغويا، (جعيط، 1986، صفحة 237) وقد تواجدت جغرافيا في شبه الجزيرة العربية عدة قبائل تجمعهم اللغة العربية (السومريين، الآشوريين، الأكاديين، البابليين، الأموريين، الأدوميين، الفينيقيين، الكنعانيين، الآراميين، السبئيين، الحميريين .. الخ)، فالرابط في البداية كان هو اللغة المشتركة، ثم تفرع هؤلاء الاقوام وكون كل منها طريقة حياة خاصة به، وقد سميت الاقوام التي اتخذت من البداوة والترحال نمط حياة بـ"الاعراب"، ثم بعد ذلك تفرعت اللغة العربية الاصلية الى عدة لهجات مستقلة وصار لكل قوم لهجة خاصة به اشبه ما تكون بلغة مستقلة (اللغة الكنعانية، الفينيقية، الامورية، السريانية، الآرامية..).

أما خارج شبه الجزيرة، وحسب النقوش المسمارية فقد كان أول ظهور للعرب الأوائل سنة 853 ق م. (جعيط، 1986، صفحة 241) دون أن يتسموا بأسماء عربية، فليس من الضرورة أنهم كانوا غير عرب من حيث الجنس، لكنهم ينتمون الى الرحل. فهذا المفهوم يخص نمط العيش أكثر مما تحيل الى مفهوم عرقي. فالعرب وحدهم من تبادوا في حياة الترحل، وحتى أولئك الذين تبادوا من بعد على هذا النمط من الحياة قد تعربوا، فهناك مطابقة بين مفهوم "عربي" ومفهوم "الترحل" منذ القديم. وحتى في القرآن الكريم لم يستعمل ابدا الاسم الموصوف عرب، ولكن استعمل اسم مشتق هو "أعراب" للدلالة على البدو، وصفة عربي نعنا لغويا فحسب، وحتى المصادر التي تلت ظهور القرآن استخدمت كلمة عرب للدلالة على قبائل الرحل، لا على العرب بصفتهم مجموعة عرقية، كما في مقدمة ابن خلدون. (جعيط، 1986، صفحة 242).

وقد كان للعرب قديما قبل ظهور الإسلام عمارة تتميز عن عمائر الحضارات الاخرى، فنجد من بين القبائل القديمة التي كانت تسكن منطقة شبه الجزيرة العربية قبيلة ثمود، وقد بنوا ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام، ويقال أنهم كانوا يعمرن كثيرا (أعمارهم طويلة) لذلك كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال كي لا تتعرض للهدم والخراب. (مغنية، 1994، صفحة 12) وكانت أيضا قبيلة أميم التي سكنت ارض فارس، ويذكر أنها أول من بنى البنين واتخذت البيوت من الحجارة، وسقفوا بالخشب. (مغنية، 1994، صفحة 16) كما برع سكان جنوب شبه الجزيرة العربية

(اليمنيين) في مجال البناء، فأقاموا عدة مدن منها: مأرب (هي مملكة سبأ)، معين، ظفار، صنعاء وغيرها، وقد اشتهرت هاته المدن بالقصور الفخمة والهيكل، وأصلها المحافظ، وهي تشبه في تصميمها القلاع المحاطة بأسوار. (سفال، 1995، صفحة 49).

ومع بداية الفترة الإسلامية نشأت العمارة الإسلامية، التي ظهرت أولاً في المساجد والجموع، فكانت المساجد والجموع الأولى ابنية بسيطة للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة، ليس فيها نزوع الى اتقان في العمارة والزخرفة، فكانت تمثل في المقام الأول بيتاً للعبادة ورمزاً للوحدة الدينية والديوية. (يوسف، 1980، صفحة 11)، بعدها بسنوات قليلة بدأ الاهتمام بالفن المعماري الإسلامي، فانتقل الى إقامة المساجد كأبنية ضخمة، وتفنن العرب المسلمون في عمارتها فظهرت المقصورة، ثم ظهرت المآذن والمحاريب، ثم ظهرت الايوانات والاروقة التي تحيط بصحن المسجد، ورفعت الاقواس والعقود.. الخ، ثم بعد ذلك انتقل العرب المسلمون الى الاهتمام بعمارة المدن والمنشآت السكنية وغيرها.

بالتتبع التاريخي لتطور العمارة الإسلامية نجد انها بدأت بظهور الطراز الاموي كاقدم طراز معماري إسلامي، تميز باقتباسه من الأساليب التي سبقته، فجمع بين الأسلوب الهلنستي والأسلوب البيزنطي الذين كانا منتشرين في سورية والشرق الأدنى، وبعد انتقال الخلافة الى العباسيين، وانتقال العاصمة الإسلامية من دمشق الى بغداد، ظهر الطراز العباسي الذي كان متأثراً بالبابليين والاشوريين والاعريق، ولما ضعفت الدولة العباسية واخذت الأقاليم تستقل عن عاصمة الخلافة العباسية، ظهرت في كل إقليم صور وأساليب جديدة للفن المعماري الإسلامي. فظهر بعد ذلك الطراز الفاطمي الغني بالرونق والجمال، والطراز السلجوقي، والطراز الصفوي، الطراز العثماني، الطراز الإيراني، الطراز الهندي... الخ. وبالرغم من هذا التعدد والاختلاف بين الأساليب والطرز المعمارية الإسلامية، الا انها في صورتها العامة ظلت مستجيبة للمبادئ التي جاء به الدين الإسلامي، وبذلك نشأ أسلوب مميز في استغلال المجال العمراني، وفي معالجة المباني عرف بالعمارة الإسلامية. وقد كانت ملامح وسماتها إنعكاساً للظروف البيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية.. بالإضافة الى القيم الجمالية والزخرفية الواضحة التي أظهرتها معالجة واجهات المباني بشكل يتناسب مع ثقافة المجتمع الإسلامي.

وبتميز العمارة الإسلامية من بلد لآخر ، فقد تم تقسيمها الى عدة مدارس أهمها: (يوسف، 1980، صفحة 19)

- المدرسة العربية
- المدرسة المغربية الأندلسية
- المدرسة العباسية
- المدرسة العثمانية او التركية
- المدرسة الفارسية الهندية
- المدرسة المغولية

وسنركز في هذه الدراسة على المدرسة العربية الإسلامية.

1.2. مراحل تطور العمارة الإسلامية:

حسب ما ذكر الباحث في علم الآثار شريف يوسف في كتابه "المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها" فقد مرت العمارة العربية الإسلامية في تطورها بأربعة مراحل أساسية:

- المرحلة الأولى: بدأت من منتصف القرن السابع ميلادي الى نهاية القرن التاسع، منذ ظهور الإسلام الى بداية ضعف الدولة العباسية، وقد تميزت بانتقال العمارة من البساطة الى فن العمارة، أين زاد الإهتمام بالجانب الجمالي لها، وقد تشابهت في كل من دمشق وبغداد والقاهرة.

- المرحلة الثانية: بدأت من بداية القرن العاشر ميلادي، وإستمرت ما يقارب مئتين وخمسين سنة، وقد إنتقل الفن المعماري من مرحلة النسخ والتقليد إلى مرحلة الإبداع والتميز، فظهرت عدة أساليب، لكنها حافظت في الغالب على المفاهيم الأساسية للعمارة العربية الإسلامية.

- المرحلة الثالثة: بدأت من القرن الثالث عشر ميلادي الى القرن الخامس عشر، تميزت بإعتماد العمارة كوسيلة للتفاخر والتباهي، فتم التركيز على الجانب الجمالي فظهرت الأبنية الفخمة، وتقنونا في زخرفتها.

- المرحلة الرابعة: دامت ما يقارب أربعة قرون، حيث توحدت البلاد الإسلامية تحت الحكم العثماني، فظهر الطراز المعماري التركي الذي إستوحى في بداياته من الطراز العثماني القديم والطراز البيزنطي والسلجوقي.

1.3. أسس إنشاء المدن الإسلامية

نلاحظ وجود اختلاف في التخطيط العمراني من مدينة الى أخرى وذلك راجع لإختلاف الأهداف التي أنشئت من أجلها، خاصة في مرحلة النشأة الأولى للعمارة الإسلامية، فنجد منها ما بدأ على هيئة معسكرات حربية، ثم تطور الى مدينة كالبصرة، الكوفة، الفسطاط والقيروان. ومنها ما أنشئ لأغراض إدارية كواسط، ومنها ما أنشئ كعوامم للدول المتتابعة كبغداد والقاهرة وفاس، ومنها ما أنشئ مرتبطا بعوامل دينية كالنجف وكربلاء. (عثمان، 1988، صفحة 86) غير انها في شكلها العام حافظت المدينة الإسلامية في تخطيطها على مبادئ وسمات أساسية عامة.

ذكر ابن أبي الربيع في كتابه أهم الأسس التي يجب مراعاتها في إنشاء المدن فلخصها في ثمانية أسس:

- أن يسوق اليها الماء العذب ليشرب ويسهل تناوله من غير عذف.

- أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

- أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

- أن يقدر أسواقها حتى ينال سكانها حوائجهم عن قرب.

- أن يميز بين ساكنيها بأن لا يجمع بين اصدقاء مختلفة ومتباينة.

- إن أراد سكانها فليسكن افسح أطرافها وليجعل خواصه كفاله من سائر جهاته.

- أن يحوط بسور خوفا من اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة.

- ان ينقل اليها من اهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكنها حتى يكتفوا بها ويستغنوا عن الخروج الى غيرها.

يطرح المستشرقون المختصون في العمارة تساؤل بشأن العمارة العربية الإسلامية كيف هي "إسلامية"؟ معتمدين في تسألهم بأن اغلب خصائص المدينة الإسلامية مستمدة من المدينة الشرقية القديمة وليست من الدين الإسلامي، فالمظاهر المميزة للمدينة الإسلامية والتي تتمثل في: الزقاق غير النافذ، الدار ذات الصحن الداخلي، السوق... ليست إبتكارات إسلامية، بل هي عناصر شرقية لا تتميز إلا بالنسبة للتقليد الأوروبي الكلاسيكي. يمكن الرد على هذا التساؤل بأن تجميع هذه العناصر المختلفة الأصل في مدينة واحدة من أجل تحقيق أهداف وقيم سعى الى نشرها الدين الإسلامي كالستر والخصوصية واحترام الآخر... هو ما أضاف عليها سمة الإسلامية، فالمهم هو الغرض الذي تؤديه هذه العناصر بغض النظر عن تفاصيل شكلها.

2. المسكن في العمارة العربية الإسلامية بين الشكل والوظيفة

2.1. مفهوم المسكن: السكن ظاهرة كلية بتعبير مارسال موس، تتعدد فيها الأبعاد والدلالات المتضمنة في الأشكال المادية والتعبيرات السلوكية (الطقوس) المرتبطة بالممارسة السكنية، فهو المجال الذي يقيم فيه الإنسان، حيث تتطوي تحت كلمة المجال كلا من المحيط المادي و المحيط الإجتماعي والثقافي المتكون من الممارسات والتمثلات والرموز الخاصة بهذا المحيط المادي.

فمن منظور أنثروبولوجي المسكن هو كون الإنسان الصغير المليء برموز الحميمية، وهو في أسمى أوصافه المكان المقدس (جيلبير، 2006، صفحة 223)، فهو عالمنا المصغر الآمن الذي نعود إليه محتمين به من العالم الخارجي، أما من منظور أنثروبولوجيا الرمز والمخيال فهو يتعدى من كونه فضاء مادي وإجتماعي إلى كونه فضاء رمزي.

أوضح ديسبريس Despres من خلال الدراسة التي قام بها في مدينة شيكاغو مفهوم المسكن من خلال عدة خصائص، أهمها (Renier, 1982, p. 9):

- الموضع الذي نشعر فيه بالأمن الجسدي.
- المكان الذي نستطيع فيه الفرد أن يعمل ما يشاء وأن يحقق ذاته.
- المكان الذي نشعر فيه بالراحة عند استضافة الناس.
- الملجأ الذي نستطيع أن نبتعد فيه عن الضغوط الخارجية، وأن نحصل فيه على السلام والسكون والبقاء بمفردنا عندما نرغب في ذلك.
- المكان الذي يتوفر فيه الفضاء المناسب والغرف لتحقيق الحاجات اليومية للفرد.
- المكان الذي نستطيع فيه إحداث التغييرات وإضفاء الصبغة الشخصية عليه.
- موضع الحب والمبادلة، أين نتمكن من توطيد العلاقات مع الأشخاص المهمين بالنسبة لنا.
- المكان الذي نشعر فيه بالألفة مع فضاءاته، رائحته، أثاثه وأشياءه.
- المكان الذي يمنحنا الشعور فيه بالانتماء وبوجود أصل لنا.
- مكان شخصي.
- الإستثمار الذي يمكننا الحصول بواسطته على المال.
- المكان الذي يدين للناس مكانتنا في المجتمع.

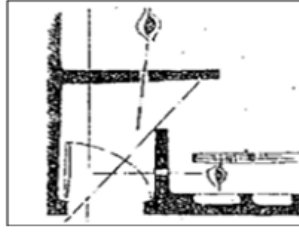
2.2. القيم الثقافية المتجسدة في عمارة المسكن

لم يبنى المسكن في العمارة العربية الإسلامية بشكل اعتباطي، وإنما بني حسب التصورات والقيم الثقافية السائدة في المجتمع، فهو نظام رمزي مكثف يعكس ثقافة المجتمع الإسلامي.

2.3. الحرمة (الخصوصية) من أهم مميزات عمارة المسكن العربي والتي أعطته طابعا وهوية مميزة، توفير فكرة الخصوصية أو الستر، كما تعرف أيضا بالحرمة و هو مفهوم أساسي في حياة العائلة المسلمة، و لمصدر الكلمة حرم معنيين، المعنى الأول و يشير إلى المقدس و الشرف و المعنى الثاني يشير إلى الحرام أو الممنوع. و يرتبط مفهوم الحرمة عادة بالمنزل و المرأة و الحميمية و الكرامة و النزاهة و ما هو جنسي، إنه يرتبط بشرف العائلة (بومدين، 2007، صفحة 49)، وقد تمكن المعماري قديما من تحقيق ذلك بطرق متعددة منها:

- العتبة: مكان الانتقال من الفضاء الخارجي العام إلى الفضاء الداخلي الخاص، صورت في المخيال الشعبي كحد فاصلا بين المدنس والمقدس، فهي نقطة يلتقي بها العالمان المقدس والمدنس ما يجعلها عرضة لبعض الاخطار، ما يقتضي طقوسا معينة (طقوس العبور) تحقق هذا الانتقال عند بداية السكن داخل الفضاء السكني، كالذبح مثلا، وذلك منعا لحدوث أي اخطار او شرور. (خوري، 2010). تكون العتبة في العادة مرتفعة بالنسبة لمستوى المنزل، كما انها تمثل شرف العائلة، لذا لا يمكن تجاوزها دون استئذان لما للمسكن من حرمة.
- المدخل: يتميز مدخل المسكن عادة بتوجيهه باتجاه الشرق تبركا بالشمس، فالشمس ترمز إلى الخير و الجديد، ويكون عادة طوله أقصر من متوسط قامة الرجل بحيث يضطر هذا الأخير الى الإنحناء قليلا للدخول فتكون عيناه باتجاه الأرض وهذا لمنع رؤية ما داخل المسكن مباشرة عند الدخول، كما يتميز أحيانا بإنكسار 90 درجة كي لا يسمح للمارة برؤية ما داخله، كما في الصورة (01).

الصورة (01): المدخل المنكسر إحدى المحددات التصميمية التي تحقق مبدأ الخصوصية



المصدر: (إبراهيم، 2017، الصفحات 80-93)

- **مطرقة الباب:** مطرقة معدنية، الشكل البسيط منها يتكون من جزء معدني ثابت بالباب يتصل بحلقة معدنية بواسطة مفصل لتسهيل حركتها، يطرقها الزائر للإستئذان قبل دخول المنزل، فالاستئذان قبل دخول منازل الغير من التعاليم الإسلامية السائدة في المجتمعات العربية، فهو يحافظ على حرمت المساكن، كما أنه تنبيه لأهل المسكن بوجود زائر، وهناك نوعين من المطارق إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، فعندما يطرق الباب بالكبيرة يفهم أن الذي يطرق رجل فيذهب رجل لفتح الباب، وعندما يطرق بالصغيرة يفهم أن الطارق امرأة فتذهب امرأة لفتح الباب، وذلك من باب تقليص مساحة الإختلاط بين الرجال والنساء.

- **المشربية:** تقول أحد الإعتقادات أن كلمة مشربية مشتقة من كلمة "شرب" وتعني مكان الشرب، وظيفتها كانت كحيز توضع فيه الجرار وأواني الماء ليتم تبريدها بفعل حركة الهواء الناتج بين أجزائها، ظهرت في المناطق الجافة والحارة، ونجد لها العديد من التسميات والأشكال ومواد البناء. والمشربية المتعارف عليها هي عبارة عن إنشاءات خشبية على شكل تكعيبات شبكية، تُقام عادة في واجهات الطوابق العليا ولها مهمتين: من جهة هي حل بيئي لتخفيف حدة الضوء الداخل مع توفير مرور الهواء، ومن جهة أخرى حجب النساء عن المارة الذين يريدون مقابلة أصحاب البيوت، فيمكن للنساء رؤية الطارق لكنه لا يراهن والهدف من ذلك توفيرها الخصوصية، كما أن لها شكل جمالي كما نلاحظ في الصورتين (03) و (04).

الصورة (04): المشربية من الداخل



المصدر : (الغني، 2019)

الصورة (03): المشربية من الخارج



المصدر : (الغني، 2019)

هل يمكن تحقيق الخصوصية في واجهات المباني المعاصرة بمفردات أو أفكار معمارية أخرى دون شرط ارتباطها بالمشربيات الخشبية؟ ، بمعنى آخر هل المشربية كعنصر وشكل معماري ليس لها بديل آخر بحيث يلبي نفس المعايير التصميمية من خصوصية ومجابهة للظروف البيئية، ربما توجد بعض المحاولات التصميمية المعاصرة والتي يمكن أن تجيب على هذا التساؤل، ولكن ما يهمنا التأكيد عليه هنا في هذا السياق أن التمسك بعناصر معمارية شكلية معينة، ليس هو

الطريق الوحيد للحفاظ على الطابع المعماري أو الهوية العمرانية، ولكن يفترض وجود بدائل أخرى ربما لا تتطابق في الشكل ولكن تؤدي نفس الوظيفة وتحقق المضمون.

- **الفناء الداخلي:** فضاء داخلي مفتوح على السماء، يتيح نوع من الإستقلالية والخصوصية لكل بيت، فهو يضمن توجيه المبني إلى الداخل من خلال النوافذ المطلّة عليه بدل الشارع كما نلاحظ في الصورة (05). وقد إكتسب في العمارة الإسلامية بعدا جديدا فأصبح يمثل فراغ إنتقالي وإنتظمت الفراغات والعناصر حوله، كما فتحت عليه النوافذ والشرفات وإرتبطت به لتحقيق الإستفادة القصوى من هذا الفراغ، فأهم إضافة قام بها المسلمون على تركيبته هي التركيز على عنصر الخصوصية، فتصميم المسكن الإسلامي يتجه من الداخل إلى الخارج، فالفناء الداخلي يمثل الحياة الداخلية للأفراد. وله عدة وظائف:

- وظيفة جمالية وترفيهية: تمثلت في التنوع بإستخدام الأزهار والنباتات والأشجار (سواء التزيينية أو الطبية أو المثمرة)، وكذلك تشكيل الفراغات المظللة ونصف المظللة، المفتوحة ونصف المفتوحة التي تساعد على الإسترخاء والإستمتاع.
- وظيفة إجتماعية: حيث تقوم فيه الأسرة بعدة نشاطات إجتماعية مثل لعب الأطفال، أو تجمع أفراد الأسرة خاصة النسوة، أو يخصص لبعض الأشغال المنزلية، فالفناء الداخلي يسمح بممارسة نشاطات إجتماعية في فضاء مفتوح وفي نفس الوقت التمتع بالخصوصية كما في الصورة (06).
- وظيفة روحية: الفناء فضاء ينقل الطبيعة الخارجية الى داخل المنزل، فهو يمثل مكان الإتصال بين الانسان والكون، وكذلك تلتقي به العناصر الأربعة للطبيعة وهي: الأرض، الماء، الهواء والشمس، ليصبح تعبيراً عن الكون كله، وقد إستخدم العرب الفناء الداخلي لتوفير مجال مفتوح على الوسط الخارجي، فالعرب يكرهون ان يحصرها بين الجدران، كما يرتبط في مخيالهم المجال المغلق بالقبر، لذلك فهم بحاجة دائما الى فضاء مفتوح.

الصورة (06): الحياة الاجتماعية في الفناء الداخلي

الصورة (05): توجيه المسكن الى الداخل من خلال الفناء الداخلي



المصدر: (كداش، 2018)

المصدر: (وزارة التجهيز والاسكان والتهيئة الترابية، 2003)

- **التختبوش:** كلمة تختبوش هي كلمة فارسية الأصل مكونة من مقطعين الأول هو "تخت" أي مقعد أو منصة والثانية "بوش" أي صاحب، فهي تعني صاحب المقعد أو صاحب المكان. وهي عبارة عن مساحة مسقوفة مستطيلة أو مربعة الشكل تقع بين فناء البيت وحديقته الخلفية، توضع بها الأرائك الخشبية ليجلس عليها، يتميز بإرتفاع سقفه الخشبي والذي يكون محمولاً من الأمام على عمود واحد ليعطي مزيداً من الإتساع والرحابة والتهوية الجيدة، أما ظهر التختبوش فتوجد به مشربيات كبيرة تطل على الحديقة الخلفية مما يسمح بمرور التيار الهوائي. وكان التختبوش أيضاً مكان لجلوس الرجال في الإحتفالات والمناسبات،

- **النوافذ الخارجية:** عبارة عن فتحات، تميزت بقلّة عددها، صغر حجمها وارتفاعها عن سطح الأرض (تبدأ عادة من الطابق الأول)، وذلك لمحاولة إضفاء إحساساً بحرمة وقدسيتها الحياة الأسرية، وأهميتها لدى المسلمين.

2.4. التكيف مع المناخ:

- **الفناء الداخلي:** إرث معماري عتيق يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، فقد ظهر في الحضارات اليونانية والرومانية والتي ورثته هي الأخرى من الحضارة الفرعونية وحضارة ما بين النهرين. وحسب ديفونتان Desfontaine، فإن هذا النمط مشتق من الفيلا الرومانية ولا ينتمي حسب رأيه إلى العالم العربي الإسلامي (بومدين، 2007، صفحة 51)، وقد تميز بنجاحته في عملية التكيف البيئي التي تتطلبها البيئة القاسية الحارة والجافة التي تسود المنطقة. وقد إكتسب الفناء الداخلي بعدا جديدا في العمارة العربية الإسلامية حيث إنتظمت العناصر حوله وإرتبطت به لتحقيق الإستفادة القصوى من هذا الفراغ (الباقي، 1993)، فأهم إضافة قام بها المسلمون على تركيبته هي التركيز على عنصر الخصوصية، فتصميم المسكن الإسلامي يتجه من الداخل الى الخارج، فالفناء الداخلي يمثل الحياة الداخلية للأفراد. (Cowell, 1978, p. 31) وله دور أساسي في التهوية والإضاءة.

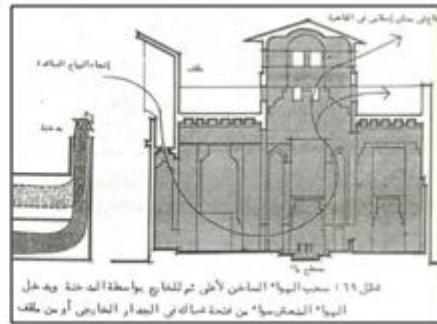
الدرقاعة والشخشيخة: الـدرقاعة هي التسقيف الفراغي الذي يعلو القاعة الداخلية التي عادة ما تكون على طابقين الصورة (11). والشخشيخة هي التي تسمح بادخال النور الى فراغ القاعة من ناحية، كما تسمح بالتحكم بدخول او خروج الهواء تبعا لفكرة فرق الضغط بين مناطق الظل والنور بالبيت، وبهذا تؤدي لدى اتصالها فراغيا مع الفناء الى تحريك الهواء داخل البيت وتلطيف درجات الحرارة العالية كما في الصورة (12).

الصورة (12): التهوية من خلال الـدرقاعة



المصدر: (عبد العال، 2019)

الصورة (11): الـدرقاعة والشخشيخة



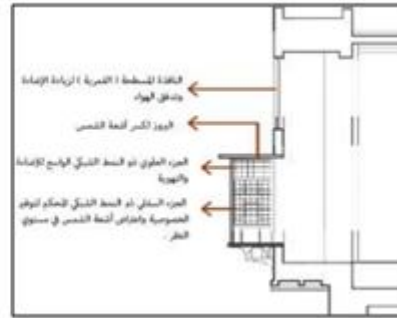
المصدر: (الغني، 2019)

- **المشربية:** لها وظيفة بيئية تتمثل في ضبط: تدفق الضوء، الهواء، درجة الحرارة، والرطوبة. يتكون الضوء الساقط من النافذة الى سطح الفراغ الداخلي من قسمين: الأول هو الضوء المباشر، والثاني هو الوهج الذي يدخل من خلال فراغات النافذة، كما في الصورة (16). تقوم المشربية باعتراض الضوء المباشر لتقليل درجة حرارة المكان، ويبقى الوهج الذي يتضاعف عند سقوطه على قضبان الخشب في المشربية والذي يسبب ازعاجا بصريا اذا كان زائدا، لذلك تعمل المشربية بحساسية عالية تجاه هذا الوهج فتكون قضبانها متقاربة على مستوى النظر ومتباعدة في الأجزاء العليا، هذا الفرق في البعد بين القضبان يسمح أيضا بالتحكم بمرور الهواء، وإذا كانت الأجزاء ذات الفراغات الصغيرة تعيق دخول الهواء الى الفراغ تصبح المشربية اكبر حجما لتعويض النقص، كما في الصورة (17). كما تقوم المشربية بتعديل درجة الرطوبة في الهواء بين النهار والليل فتفقدته او تكسبه الرطوبة حسب الحاجة والوقت، ويزداد هذا التفاعل بزيادة مساحة سطوح القضبان الخشبية فيها. اما الرؤية فتتضح اكثر بالاقتراب من المشربية والتركيز على المشهد الخارجي بينما تكاد تتعدم بالابتعاد عنها والنظر على الجانب المعتم لها (داخل الغرفة).

الصورة (14): التهوية من خلال المشربية



الصورة (01): الإضاءة من خلال المشربية

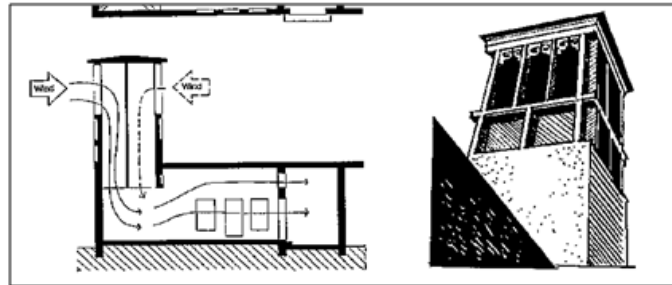


المصدر: (هندي و ابو الفتوح، 2017، الصفحات 42-65)

المصدر: (أ، 2015)

- البراجيل: (الملقف - أبراج الرياح) تطيف الجو الداخلي للغرف، وهو عبارة عن مهوى يعلو، وله فتحة مقابلة لاتجاه هبوب الرياح السائدة لاقتناص الهواء المار فوق المبنى ويكون غالباً أبرد، ثم يقوم بدفعه داخل المبنى. وللملقف فائدة مهمة إذ يغني عن النوافذ ذات الفتحات الكبيرة لتوفير التهوية بالإضافة إلى فائدته في تقليل الغبار والرمال التي تهب على الأقاليم الحارة والجافة، وكذلك له أهمية كبيرة في الأقاليم الدافئة الرطبة التي تعتمد في راحتها الحرارية على حركة الهواء وبالأخص التي تكون أبنيتها متلاصقة تحول دون وصول الرياح إليها وتصبح حينها النوافذ غير كافية لتوفير التهوية فيقوم الملقف بهذه الوظيفة بمنتهى السهولة. ويتميز الملقف بأنه أصغر مساحة من واجهة المبنى فلا تحجب الأبنية الواقعة خلفها. الصورة (15)

الصورة (15): اشكال تخطيطية للملاقف وطريقة التهوية من خلالها



المصدر: (Paul Gut & Fislisbach, 1993, p. 109)

- مواد البناء المحلية: هي مجموعة من المواد الطبيعية المستخدمة في مجال البناء والتي يكون مصدرها محلياً، وكذلك معالجتها، كالتراب، الطين، الرمل، الحجر، الجبس، الخشب... إلخ وهي لا تتطلب شراء أو نقل أو نفايات ومعالجة صناعية، كما أنها خالية من الإنبعاثات والعناصر السامة، كما تسمح بالحفاظ على التوازن البيئي وحماية البيئة. يوجد ثلاثة معايير لتحديد مواد البناء المحلية وهي:

- معايير جغرافية: طاقة الحقول وظروف الإستغلال (طرق الاستخراج والنقل)...
- معايير تكنولوجية: متمثلة في الخبرات المحلية لتحديد كيفية استخدام هذه المواد.
- معايير اقتصادية: يتضمن تكاليف استخراج المواد الخام.

2.5. البساطة في العيش: إن المنزل الإسلامي على غناه يعطي إنطباعاتاً على أنه متواضع و معتدل بعيد عن الإسراف والتبذير:

- فمن ناحية البناء، فجدرانها الخارجية عالية، بها باب مغلق في الغالب ونوافذ ضيقة وقليلة، أما من الداخل فتبدو ساحة المنزل كأهم جزء في المسكن برمته (يومدين، 2007، صفحة 50) ويحتوي في الغالب على نباتات تزيينية، ثم تأتي حوله باقي الغرف.

- أما من ناحية الأثاث الداخلي، فنجد في الغالب أثاث عملي وبسيط، فالجدران مثلا تحوي على كوات (niches) هي عبارة عن ثقب غير نافذة تستخدم لحفظ وتخزين الأغراض المنزلية، كما توضع بها مصابيح الإنارة، أما المطبخ فيختصر عادة في ركن من أركان غرفة المعيشة يكون الفرن (الموقد) مكونه الأساسي، أما الطعام فيقدم على مائدة منخفضة ومستديرة الشكل، يلتف حولها الأشخاص جالسين على الأرض يتشاركون الطعام في صحن واحد، ولشكل المائدة دلالة رمزية، فإنخفاضها يعود إلى أن المناخ الحار الذي يميز الدول العربية جعل سكانها يحافظون على قربهم من الأرض أين يكون الهواء بارد ومنعش، أما شكلها الدائري فيضفي طابعا حميميا حيث يكون كل الأشخاص متقابلين، كما أنه يوحي بالتساوي الاجتماعي بينهم.

- أما من الناحية الجمالية فنجد بساطة في الألوان المستخدمة، فاللون الأبيض المستخدم في طلاء الحوائط ملائم للظروف المناخية الحارة. كما أنه يرمز للصفاء والنقاء والبساطة في حياة هؤلاء الناس، أما الألوان كالأحمر والأصفر والأخضر فأحتفظ بها في الداخل، خاصة في عمل الزخارف الداخلية، وهو ما يؤكد التضاد بين ما هو عام وما هو خاص، كما نجد أن الأنماط الزخرفية تعتمد على الأشكال الهندسية (البسيطة والمعقدة)، وتبتعد كل البعد عن تصوير الكائنات الحية، وهذا مستنبط من المنهج الإسلامي، فالمحتوى المعماري مرتبط بالقيم الإسلامية.

2.6. التماسك العائلي: عرف الشكل التقليدي للأسرة في المجتمعات العربية الإسلامية بالأسرة الممتدة، حيث تتشارك عدة عائلات نووية تربط بينهم روابط نفس المسكن ونفس نمط الحياة الذي يعتمد أساسا على مبدأ التشارك، كما كانوا يعتمدون على كبير العائلة في تدبير شؤونهم وحل مشكلاتهم، وقد ساهم التشارك في المجال السكني بشكل معين في زيادة قوة الترابط بين أفراد الأسرة، فنجد على سبيل المثال تحول ركن الموقد في المطبخ في أيام الشتاء الباردة إلى مكان للأكل وتجاذب أطراف الحديث والتسامر والدفيء، كما يستخدم الفناء الداخلي في بعض النشاطات المنزلية التي تحتاج إلى تعاون بين النسوة كتجهيز المؤونة أو تحضيرات الأعراس، حيث يصبح الفناء مكانا للإلتقاء وتبادل أطراف الحديث بين النسوة وهن مشغولات بالعمل.

كما أن المسكن بالنسبة للعائلة الممتدة يكون في الغالب متوارث، فهو يمثل رمز من رموز العائلة، كما يمثل جزء من كينونتها وتاريخها، وبذلك تكون علاقة الأفراد بالمسكن علاقة حميمة.

2.7. حسن الجوار: تطرق دي بول J.C. Depaule إلى فرص التفاعل بين الجيران بقوله: "إن عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلها نقاط مهمة بواسطتها تتكون علاقات الساكن بالآخرين كما أشار إيفون B.Yvonne إلى ذلك أيضا، معتبرا أن النوافذ والأبواب تسمح في خلق التواصل الاجتماعي

- بساطة وتجانس الواجهات الخارجية للمباني، وذلك لخلق نوع من التساوي وعدم التمييز بين أفراد المجتمع.
- تشابه مستويات البناء التي كانت في الغالب لا تفوق الطابق الأول، وذلك من أجل ضمان حرمة المنازل المتجاورة، فلا يمكن اختلاس النظر من سطح مسكن لآخر من جهة، ومن جهة أخرى حق كل بيت في التشميس والتهوية، فحجب منظر طبيعي عن الجار هو إحدى الطرق الأكثر فعالية لإغاضته. (هول، 2007، صفحة 223)
- تراص الأبنية والتحامها وذلك من أجل التقليل من الشوارع والفراغات الخارجية، وذلك لهدف الحفاظ على خصوصية الأماكن.

- تجنب النوافذ والأبواب المتقابلة بين الجيران، لهدف احترام الآخر وخصوصياته: في مسح قام به الدكتور صالح الهدلول عام 1396هـ لحارة الأعوات بالمدينة لم يظهر من بين 200 بيت سوى بايين متقابلين وذلك لعظمة حق الجار.

2.8. الحس الجمالي: حيث إهتمت العمارة العربية الإسلامية بالجانب الجمالي رغم بساطتها، فإهتمت بعناصر تزيد في

إثراء وإغناء تفاصيل العمارة ما أدى لملامستها للبعد النفسي والروحي للإنسان، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- التدرج في الفراغات من العام إلى نصف عام إلى الخاص ما يعطي تناغم وإيقاع في الفراغات الداخلية.
- التلاعب بالظل والنور لخلق فضاءات متدرجة الإضاءة تزيد من جمالية المكان.
- وجود عنصري الماء والخضرة.
- الزخارف والنقوش بإستعمال الأشكال الهندسية والكتابية.

II - الطريقة والأدوات :

إعتمدنا في هاته الدراسة على المنهج الوصفي لتقديم أهم المكونات المعمارية للمسكن العربي الإسلامي، ثم اعتمدنا على السيميائية كإجراء منهجي من أجل قراءة البعد الرمزي والوظيفي لها، وذلك من خلال مجموعة من الصور للمسكن العربي الإسلامي، للكشف عن القيم الثقافية المتجسدة فيه، والتي إنعكست على شكلها المعماري. وقد تم الإعتماد على مهارات الباحث وخبراته في إختيار الصور المناسبة التي تخدم الهدف الأساسي للموضوع.

II - الخلاصة:

لقد تعدت العمارة العربية الإسلامية كونها عمارة بنبوية ووظيفية وجمالية إلى كونها عمارة رمزية تعكس من خلال عناصرها القيم الثقافية والمعايير الإجتماعية الخاصة بالمجتمع الإسلامي، فأختزلت عدة قيم جاء بها الدين الإسلامي كان أهمها الخصوصية (الحرمة)، حيث إعتبرت المسكن بمثابة العالم المصغر الخاص بالأسرة و بالمرأة خاصة، بالإضافة إلى البساطة في العيش وعدم التكلف، إحترام علاقة الجيرة، التماسك العائلي ...

العمارة العربية الإسلامية جزء من تراثنا المعماري الثقافي، والموروث الثقافي لا نعني به تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماض سحيق فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى، لأن هذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ وتسلب حقه في التعبير عن الحاضر، والتأثير فيه، والتأثر به، وتجعله شيئاً من مخلفات الماضي السحيق، (مرسي، 1975، صفحة 94) فللموروث الثقافي من منظور الأنثروبولوجيين دائماً وظيفة تؤديها بطريقة أو بأخرى حتى ولو إختلفت عن الوظيفة الأصلية، وإعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصر ثقافية موروثة من أوضاع أقدم ثقافياً وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات. (مصطفى، 2008، صفحة 61)، لذا كان من الضروري المحافظة على هذا التراث والإستفادة منه في العمارة المعاصرة فمن الممكن صناعة عمارة عربية معاصرة تتناسب وفق مقتضيات ومتطلبات العصر وإحتياج الإنسان المعاصر، عمارة لا تنقيد فقط بالأشكال الهندسية أو العناصر المادية للعمارة الإسلامية، ولكن عمارة حديثة تحمل في طياتها نفس الدلالات والرموز والقيم التي تتناسب مع البيئة الإجتماعية والثقافية لمجتمعنا.

الإحالات والمراجع

المراجع باللغة العربية:

1. ابراهيم عبد الباقي. (1993). المنظور الإسلامي للنظرية العمرانية. القاهرة: مركز الدراسات التخطيطية والعمرانية .
2. انوار تي هول. (2007). البعد الخفي (المجلد 1). (لميس فؤاد يحيى، المترجمون) الاردن: دار الاهلية للنشر.
3. الشيخ احمد مغنية. (1994). تاريخ العرب القديم (المجلد 1). بيروت: دار الصفاة للنشر.
4. امد مرسي. (1975). مقدمة في الفلكلور. القاهرة: دار الثقافة للنشر.
5. دوران جيلبير. (2006). الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها (المجلد 3). (مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
6. ديزيره سقال. (1995). العرب في العصر الجاهلي (المجلد 1). بيروت: دار الصداقة العربية.
7. دينا فكري جمال ابراهيم. (2017). المضمون الاسلامي وأثره في بلورة الرؤية التصميمية للمسكن المعاصر. العمارة والفنون والعلوم الاجتماعية،

8. شريف يوسف. (1980). المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها. العراق: دار الجاحظ للنشر.
9. عادل تيودور خوري. (2010). الظاهرة الدينية - الشعائر والطقوس الدينية (المجلد 5). لبنان: المكتبة البوليسية للنشر.
10. فاروق احمد مصطفى. (2008). الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي -دراسة ميدانية. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
11. محمد عبد الستار عثمان. (1988). المدينة الإسلامية. الكويت: دار عالم المعرفة.
12. هشام جعيط. (1986). الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
13. وزارة التجهيز والاسكان والتهيئة الترابية. (2003). دليل خصوصيات عمارة الجنوب التونسي. تونس. المراجع باللغة الأجنبية:

1. A Renier .(1982). espace et représentation: penser l'espace.Paris: les éditions de la villette.
2. Frank Cowell .(1978). the garden as a fine art -from antiquity to modern times .(المجلد 1) London.
3. Paul Gut, & Fislisbach. (1993). climate responsive building. Switzerland: SKAT, Swiss Centre for Development Cooperation in Technology and Management.

المجلات:

1. أماني مشهور هندي، و آية فيصل ابو الفتوح. (07, 2017). النسبة الذهبية في تقسيمات الخط الإسلامي في الواجهات المعمارية. مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، 2(3)، 42-65.
2. سليمان بومدين. (2007). تصورات المغاربي لحرمة داره. مجلة انسانيات، 37. المواقع الإلكترونية:
1. أ ش أ. (07, 11, 2015). دراسة أثرية معمارية ترصد استلهام أوروبا لمفردات العمارة الإسلامية في المباني الحديثة. تم الاسترداد من اليمن العربي: <https://www.elyamnelaraby.com/82> لدراسة-أثرية-معمارية-ترصد-استلهام-أوروبا-لمفردات-العمارة-الإسلامية-في-المباني-الحديثة
2. دعاء محمود عبد العال. (14, 02, 2019). نماذج للمسكن العربي الحديث. تم الاسترداد من مجلة عالم البناء: <https://scholar.cu.edu.eg/?q=doamahmoud2010/galleries> نماذج-للمسكن-العربي-الحديث-من-مجلة-عالم-البناء
3. سوزان عبد الغني. (16, 02, 2019). بيت السحيمي : تحفة العمارة الإسلامية في قلب القاهرة. تم الاسترداد من العين الاخبارية: <https://al-ain.com/article/suhaimi-masterpiece-islamic-architecture-cairo>
4. فاروق كداش. (14, 10, 2018). دويرات القصبه: اسرار بيوت لم يقطنها الاستعمار. تم الاسترداد من الشروق: <https://www.echoroukonline.com> دويرات-القصبه-أسرار-بيوت-لم-يقطنها-الاستعمار
5. فكري آل هير. (20, 07, 2018). حول اصل تسمية العرب وتاريخ ظهورهم. تم الاسترداد من <https://www.makalcloud.com>

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

- هدى قاسمي، أ. شريف درويش ، (2021)، القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية الاختلاف زاد المعرفة الفكرة ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13(01)/2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 217-228.